الموسم

مجلة فصلية مصورة تعنى بالآثار والتراث

مجلة الموسم (العدد 13) – 1992 – 1413

ارشيو نشريات
كتابخانه تخصصي دارالحد

٢١٤٢٨

الموسم

مجلة فصلية مصورة تعنى بالآثار والتراث

صاحبها ورئيس تحريرها

محمّد سعيد الطريحي

جميع الحقوق محفوظة ومسجلة

ترسل جميع المراسلات والطلبات بإسْم صاحب المجلة الى :

المركز الوثائقي لتراث اهل البيت عليهم السلام

اكاديمية الكوفة

هولندا

AL KUFA HOUSE POST BUS 1113
3260 AC OUD - BEIJRLAND
HOLLAND FAX: 01860 - 20712

الاشتراك السنوي للأفراد ٥٠ $ وللمؤسسات ١٠٠ $.

ظاهرة النكوص والتخلّف عن نصْرة الامام الحسين (ع)

الدكتور شلتاغ عبود (*)

لقد شهد المؤمنون خلال الفترة الاولى من الحكم الاموي ، فترة العشرين عاماً من حكم معاوية بن ابي سفيان ، شهدوا من الظلم والطغيان والتعسف ماجعلهم يتوقون الى التغيير ، ويرتقبون الفرص للتحرك والتخلص من هذه الحالة التي ابعدت الامة عن الاسلام وقرّبتها الى حالات الجاهلية الاولى .

ولقد كان موت معاوية الفرصة الكبرى لهذا التحرك ، وإن كانت هناك محاولات فردية قام بها حجر بن عدي وصحبه ، ودفعوا حياتهم ثمناً لبداية هذا التحرك ومحاولة لكسر حاجز الرهبة والخوف . والذي جعل الناس يعون اكثر اللعبة الاموية التي كانت تحتمي بمقولة (الاختيار الالهي) للبيت الاموي ، وبمقولة (الصحبة) باعتبار أن معاوية رأى الرسول وكتب شيئاً من الوحي كما يذكر التاريخ ، الذي جعل الناس يعون هذه اللعبة هو فرض (يزيد) بن معاوية حاكما على المسلمين بجهود ومهدات بذلها أبوه وذلّلَ بعض الرقاب اليها بما أوتي من قدرة على الترهيب والخداع !

الذي أعان على التحرك هو نهضة الامام الحسين بن علي في المدينة ، ورفضه لبيعة يزيد وتهيؤه للرحيل الى مكة ثم العراق ، على قلة في العدد والعدة ، حفاظاًعلى روح التوقد والتضحية في الامة ، ورفضاً للظلم وعبودية سلطان الجور والجاهلية .

ولكن الامر الغريب الذي نلحظه ، هو أنه على الرغم من أن الناس قد ذاقوا مرارة الظلم في الفترة التي حكم بها معاوية ، وولاته من البيت الاموي خاصة زياد بن ابيه سيء الصيت ، ثم ولده عبيد الله بن زياد في الفترة الاولى من مجيء يزيد بن معاوية الى الحكم ، وعلى الرغم من تهيؤ الظروف في الكوفة خاصة الى الثورة ، على الرغم من ذلك كله نلحظ ظاهرة النكوص والتخلف عن نصرة الامام الحسين بل نصرة الاسلام . فما الاسباب الكامنة وراء هذه الظاهرة ياترى ؟!

الحق ان الظاهرة تدعو الى التأمل كيف يخبو ذلك الحماس إبان قدوم الامام الحسين الى العراق ، بل وإبان قدوم رسوله (مسلم بن عقيل) ، وذلك الحماس الذي عبّرت عنه رسائل العراقيين للامام الحسين ، والتي كانت ذات

(*) ولد بمدينة الحي ـ محافظة واسط سنة ١٩٤٧ ، نشأ بالبصرة وتخرج من جامعتها ، اكمل دراساته العليا (الماجستير والدكتوراه) من جامعة الجزائر ، استاذ مساعد في آداب اللغة العربية بجامعة سبها ـ ليبيا ، له عدة مؤلفات وبحوث وديوان شعر .

لهجة واضحة في الاستعداد للنصرة والتضحية ، من مثل هذه الرسالة (أما بعد فإن الناس ينتظرونك ، لا رأي لهم غيرك ، فالعجل ياابن رسول الله (ص) ، فقد اخضرّ الجناب ، واينعت الثمار ، واعشبت الارض ، واورقت الاشجار ، فانما تقدم على جند مجنّدة . . . .)

وفي رسالة اخرى يقولون للامام (. . . انه ليس لنا امام ، فأقبلْ لعلّ الله يجمعنا بك على حق . . . وان النعمان بن بشير في قصر الامارة لسنا نجتمع معه في جمعة ولا عيد) !!

ترى كيف تفرق الجمع والشمل ؟ اين الثمانية عشر الفاً من الناس الذين صلّوا وراء مسلم بن عقيل ؟ وكيف اصبح مسلم بن عقيل وحيداً في أزقة الكوفة يبحث عن ملجأ يأويه ، فلايجد غير بيت امرأة !! بل كيف تحوّلت هذه الجموع ، وهذا الأغرب ـ الى جنود مجندة ضد الحسين ، بعدما قالوا له في رسائلهم انهم جنود مجندة له ؟!!

أمر محيّر وغريب ومخجل حقاً !! ولكنه ـ على أية حال ـ حدث حقاً . . وربما حدث مثيل له ، ويحدث أيضا !!

وحين نمعن التأمل في هذه الظاهرة نجد أنها ظاهرة متصلة بطبيعة النفس الانسانية ذاتها ، وليست وقفاً على مرحلة تاريخية معينة ، وليست محصورة على قوم دون آخرين ، كما شاء بعض الكتاب ان يجعلوها خاصة بالعراقيين وحدهم !! بل انها يمكن ان تحدث لدى العراقيين ولدى غيرهم في الوقت نفسه !

فالنفس الانسانية هذه بطبيعتها ترنو بعين الى القريب العاجل من دنياها ، وتكره الرحلة الطويلة الشاقة الى أخراها ، ولقد شهدنا من الناس ومن بعض المؤمنين الذين عاشوا مع رسول الله (ص) ، ولكنهم نكصوا وتخلفوا ورضوا ان يكونوا مع القواعد ! (لقد كان عرضاً قريباً وسفراً قاصداً لاتّبعوك ، ولكن بعدت عليهم الشقة !!) .

وبسبب من هذا تجد القرآن الكريم يعطي تصوّراً واضحاً ومؤكداً ومكرراً لهذه الدنيا ، ويرسم لذلك صوراً للمتعلقين بدنياهم ، وصوراً اخرى للزاهدين فيها ، من اجل ان يعطي للدنيا حجمها الطبيعي في التصور الاسلامي ، وكان ذلك من خلال القصص القرآني ومن خلال التقريرات القرآنية الكثيرة .

﴿واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء انزلناه من السماء ، فأختلط به نباتُ الارض ، فأصبح هشيماً تذروه الرياح . ﴾الكهف .

وقد قرّر الامام الحسين هذا الفهم قبيل استشهاده (الناس عبيد الدنيا ، والدين لعقٌ على ألسنتهم ، يحوطونه ما درّت معايشُهم ، فإن مُحّصُوا بالبلاءِ قلَّ الدّيانون !!)

هذه ـ اذن ـ ظاهرة عامة في النفس البشرية ، حتى في الفترات التي بعث بها الانبياء وفي الفترات القريبة منها . وإلا كيف تفسّر رؤية الكثير من اولاد الصحابة الحسين وهو يتوجّه الى العراق ، مقدماً على الموت هو وآله وعياله . وهم يرضون من الاسلام بأن يكتفوا بشرح الحديث النبوي في المساجد ، او ينتظروا اعطيات البيت الاموي ، أو تقديم النصيحة للامام الحسين في احسن الاحوال في ألا يقدم على العراق !!

ليس شيء آخر غير حب الدنيا ، وكراهة الموت . . وهذا ما خوّف الرسول (ص) منه امته ، ولم يخوّفهم من شيء اعظم منه !!

يقف رجل في طريق الامام الحسين وهو متجه الى الكوفة ، فيقول له : (لئن قُتلت يا ابن رسول الله لُنسترقَنَّ بعدك) فالظاهر أنه

يفكر في أمر نفسه اكثر من تفكيره في مصير الامام الحسين أو مصير الاسلام !!

والذي جعل نازع النفوس الى الدنيا يقوى هنا أمران : المال والسيف ! فلقد نشط الخداع الاموي في مخاطبة الاعيان ورؤساء القبائل ووجوه القوم من ابناء الصحابة فبعث اليهم بالاموال ، وكان ذلك منذ أيام معاوية حين أثرى الكثير من الناس ممّن كانوا على صلة بالبلاط الاموي ، وممن قدّم خدمات معينة الى هذا البلاط .

وإذا كان المال بيد ، فقد كان السيف الحاد مسلطاً على الرقاب بيد اخرى ، فقد أمر معاوية من قبل واليه زياد بن أبيه بأن يُعمل السيف في محبّي الامام علي ، بل والتمثيل بهم ، وكانت وصية يزيد الى عبيد الله بن زياد اقسى وانكى حيث قطعت الرؤوس ، ورمي بالجثث من فوق القصور ، ثم سُحِلت في الشوارع ترهيباً للناس وانذاراً لهم .

في هذا الجو الارهابي دعي الناس الى قتال الامام الحسين ، وهم من الذين راسلوه ، وادعوا انهم ينصرونه . وكانت خطة احصائية في متابعة كل انسان يختفي او يتهرب من الخروج لمحاربة الامام الحسين (الا برأت الذمة ممن رجد في الكوفة ولم يخرج لحرب الحسين) !!

وكشاهد على هذا يروي المؤرخون ان رجلاً قدم من الشام لقبض دَيْنٍ له فأغتنمها ابن زياد فرصة ، فتتلّهُ وسحرجَ رأسه امام الناس !! ولم يكن ذلك الرجل من العراقيين ، ولم يكن ممن راسل الامام الحسين !!

والدليل على أنّ الرعب قد بلغ حدّه ، أنه لم يستطع الا القليل من الفرار والالتحاق بالامام الحسين ، وحتى هذا القليل قبض عليه في اطراف الكوفة وقتل ! وهذه العلة التي تحركت وحاولت كسر الطوق ، تشكل ظاهرة معاكسة ، ظاهرة الترفع على هذه الدنيا والرغبة فيما عند الله ، ظاهرة التضحية التي شهدناها مع رسول الله (ص) من لدن القلة المؤمنة التي ارست دعائم الاسلام وقوّضت بنى الجاهلية وقوتها .

اذن هو حبُّ الدنيا . . في شكليه اللذين برزا آنذاك : الرغبة في السلامة ، والرغبة من حكام الدنيا . . والحقّ ان الرغبة في السلامة هو العامل الأبرز ، لأن سيف عبيد الله بن زياد كان مستعدّاً أن يحصد الآلاف من الرؤوس . .

وكان يمكن تلافي هذا النكوص والخذلان والرهبة من سيف عبيد الله بن زياد ، لو أن الناس تلقوا الاسلام تلقّياً صحيحاً ، وتلقوا حبّ اهل البيت تلقياً بعيداً عن العاطفية .

اذ يبدو أن العاطفة كانت هي الطابع العام لانصار أهل البيت آنذاك ، كانوا محبين حقاً لبيت الرسالة وورثة النبرة ، ولكنهم لم يكونوا معبئين فكرياً ، لاستثمار هذه العاطفة وتثويرها ، بحيث تكون النفوس مستعدة الى البذل والتضحية بلا حدود . . كانت موجة من العاطفة سرعان ما تتلاشى عندما تصطدم بشاطىء الابتلاء والتمحيص . . هذا بشكل عام . . اذا نظرنا الى الجماهير الغفيرة من الناس . . ولكن هناك استثناءات فردية كانت في قمة الاحساس بالتضحية وقمة المزاوجة بين الفكر والعاطفة .

إن سوء الفهم في تلقي الاسلام ، والاعتماد على العواطف وحدها في تبني المواقف شكلاً تلك الظاهرة الغريبة في تاريخ الثورة الحسينية ، ظاهرة الأزدواجية في الولاء لاهل البيت والولاء للدنيا ، وربما الولاء للسلطان على ظاهر اللسان . . (الناس قلوبهم معك وسيوفهم عليك !!)

سبحان الله !! انها الدنيا . . الخوف من السيف ، الرغبة في العاجلة سوء الفهم للاسلام ، الاعتماد على العواطف . . ذلك ماجعل الناس يحبون الحسين في قلوبهم ويقتلونه بسيوفهم !!

وربما كان لسوء التنظيم وعدم تعبئة الجماهير وعدم اهتبال الفرص ، سببه في عدم استثمار الحالة التي كانت عليها الامة إبان موت معاوية وتولية يزيد ، فلقد كانت حالة مؤاتية للانقضاض على النعمان بن بشير قبل مجيء عبيد الله بن زياد ، وكانت الفرصة مؤاتية للسيطرة على الكوفة من قبل انصار الامام الحسين ، وإلا اية غفلة هذه التي كانت تنتظر مجيء الامام الحسين نفسه لكي يقاتل النعمان ، او عبيد الله ابن زياد !!

لم يكن المسؤولون عن تعبئة الجماهير ، بالمستوى الذي يجعلهم قادرين على اثارة الروح القبلية نفسها وجعلها في خدمة الاسلام ، فكثير ممن قتلهم عبيد الله بن زياد كانوا من قبائل ذات مكانة مرموقة في سلّم القبائل العربية ، فكان بالامكان تثوير هذه الحالة بصورة ليست بعيدة عن الروح الاسلامية بل جعلها خاضعة لهذه الروح .

ثم إن الاعلام المبرمج الذي كان يستثمره الاعداء في إشاعة ان الامام الحسين قد شقّ عصا المسلمين وخرج على خليفة المسلمين ، كان يمكن العمل على ايجاد اعلام مضاد فاعل . فالظاهر ان الاعلام الحكومي كان اكثر تغلغلا الى الناس واسرع تحركاً من الاعلام المضاد ، اعلام المستضعفين من اصحاب الحقّ . . .

وهل يرتجي هؤلاء ان تبلغ السماء عنهم مظلوميتهم ، وتعلن للملأ عن أساليب اعدائهم وسوء تصرفهم .

لابدَّ اذن من المبادرة الى خلق الاعلام المضاد بمنهج مدروس خاضع للقيم الاسلامية وليس للتوتر العاطفي الذي سرعان مايخمد ، اعلام مبادر لايعمل وفق ردود الفعل ، واتخاذ الموقف الدفاعي فقط .

إن الظاهرة التي نتحدث عنها ليست ظاهرة تاريخية ، وانما ظاهرة نفسية تحدث في كل عصر . . ولقد حدثت بالامس القريب في العراق نفسه ، عندما استعمل النظام الحاكم في العراق نفس الاساليب التي استخدمها معاوية وزياد بن ابيه وعبيد الله بن زياد ، لانه واجه الحالة نفسها في التوق الى التخلص من الظلم والتجهيل والابعاد عن الاسلام ، خاصة بعد الثورة الاسلامية في ايران .

والمراد دراسة الظاهرة ، والمراد التعرف على اسبابها . . ثم العمل على التخلص من مسببات الوقوع فيها . . وليس اكثر من التلقي الاسلامي الصحيح للدين بابعاده الفكرية والعاطفية والجهادية ، وليس اكثر من هذا درعاً لنا في أن نعرف طريق الحق فنتبعه ، ونعرف طريق الباطل فنتركه . . الفهم الاسلامي الصحيح هو الذي يجعل الدنيا تحت الاقدام ، ويجعل الرغبة في جناب الله اعظم من كل سيف . .

إن في هذا العصر لاكثر من يزيد واكثر من عبيد الله ، ولكن هناك استعداد في النفس لمواجهة الظلم والانتصار عليه ، مثلما هناك استعداد في الاستقامة على الظلم والرضوخ له . .

والطريق الى الجنة محفوف بالمكاره . . فليحاول كل امرىء من المؤمنين ان يجرّب ايمانه بأن يرمي نفسه في أتون الصراع لتغيير المنكر والظلم ، فإن للمنكر قواعد وجيوشاً وقوى